الإبداع الموسيقي في المغرب نموذج :

المؤلف الموسيقي العالمي مصطفى عائشة الرحماني

د.سلوى الشودري (المغرب)

المقدمة:

عرف الإبداع الموسيقي العربي بعد اتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية وتنوع موسيقات شعوبها وخصوصياتها الثقافية تطورا كبيرا وخاصة عندما قام فلاسفتها بتطوير بحوثهم واكتشاف الآلات الموسيقية المستمدة من الحضارة الإغريقية كابن سينا الفارابي والكندي وجماعة إخوان الصفا وزرياب في الأندلس وغيرهم من أعلام كبار حفروا مسار هذا الفن ضمن مرجعيته الثقافية الواحدة.

و حتى حدود القرن التاسع عشر عرف الإبداع الموسيقي العربي في فترة الثلاثينيات والأربعينيات وخاصة في القاهرة توهجه الموسيقي الذي اعتمد فيه على الصوت البشري والأدوات الإيقاعية والمقامية المتأثرة بتقنيات العصر لينتقل في فترة السبعينيات إلى المغرب الأقصى والذي تأثر تأثرا واضحا بالغناء الشرقي كما أسس لنفسه إبداعا موسيقيا جديدا نابعا من ثروته الموسيقية الغنية لتعددها واختلافها والتي سأعطي نبذة مختصرة عنها قبل أن أنتقل إلى موضوعي الرئيسي وهو

تقديم النموذج الإبداعي للمؤلف العالمي المغربي مصطفى عائشة.

نبذة مختصرة عن الموسيقا المغربية :

لقد اكتنف الغموض الموسيقى المغربية القديمة أي ما قبل الفتح الإسلامي لشح المصادر والمراجع وقد كان لتوافد العرب تأثيرا بالغا في إغنائها حيث حمل المهاجرون معهم الموسيقا اليمنية وموسيقا الخليج العربي مع تأثير الموسيقا الفارسية التي وصلت مع الحملات العسكرية والقوافل التجارية.

وقد عرفت هذه الموسيقى فترات ركود ولحظات تطور حسب ما كانت تمليه تقلبات الأوضاع السياسية واختلاف الدول المتعاقبة وتوافد الأندلسيين وحمل التراث الغنائي الأندلسي الزاخر فترات متوالية.

أنواع الموسقا المغربية:

بحكم الموقع الجغرافي للمغرب وتعدد مناطقه واختلاف عاداته وتقاليده ولهجاته وألحانه ومقاماته وطبوعه وموازينه انقسمت الموسيقا المغربية التقليدية إلى قسمين الأول يتمثل في الموسيقى الشعبية ذات الألوان المختلفة : كالملحون ،العيطة ، الكناوي ،المرساوي ،العلاوي والدقة المراكشية الطقطوقة الجبلية ، وأحيدوس ، وأحواش،وهوارة والغنوج وإزران وأغاني الروايس والهيت وأسكا.

أما القسم الثاني فيتمثل في الموسيقا الأندلسية التي انتشرت في حواضر المغرب والتي استقرت بها الفئات المدينية الميسورة وتتوزع إلى مدرستين:

مدرسة الآلة الأندلسية ومدرسة الطرب الغرناطي.

و منذ سنة ١٩١٢ سيطر على المغرب كل من الإستعمار الفرنسي والإسباني وقسمه إلى قسمين: الشمال الذي استولت عليه الحماية الإسبانية، والجنوب القيادة الفرنسية وهكذا دخلت الموسيقى الغربية الأكاديمية إلى هذه المجتمعات وكان أول معهد موسيقي فتح في المغرب هو معهد تطوان الذي تأسس سنة ١٩٤٥ ومنه بدأ الإهتمام بالموسيقا الكلاسيكية والتعرف عليها .

وباعتباري أنتمي لهذه المدينة ودرست بهذا المعهد والآن أدرس فيه إرتأيت أن أقدم لكم تجربة إبداعية لها وزن عالمي وهي لأستاذي المؤلف الموسيقار مصطفى عائشه الرحماني رحمه الله.

نبذة عن سيرته الذاتية :

العائش في النغم

الموسيقار مصطفى عائشة الرحماني

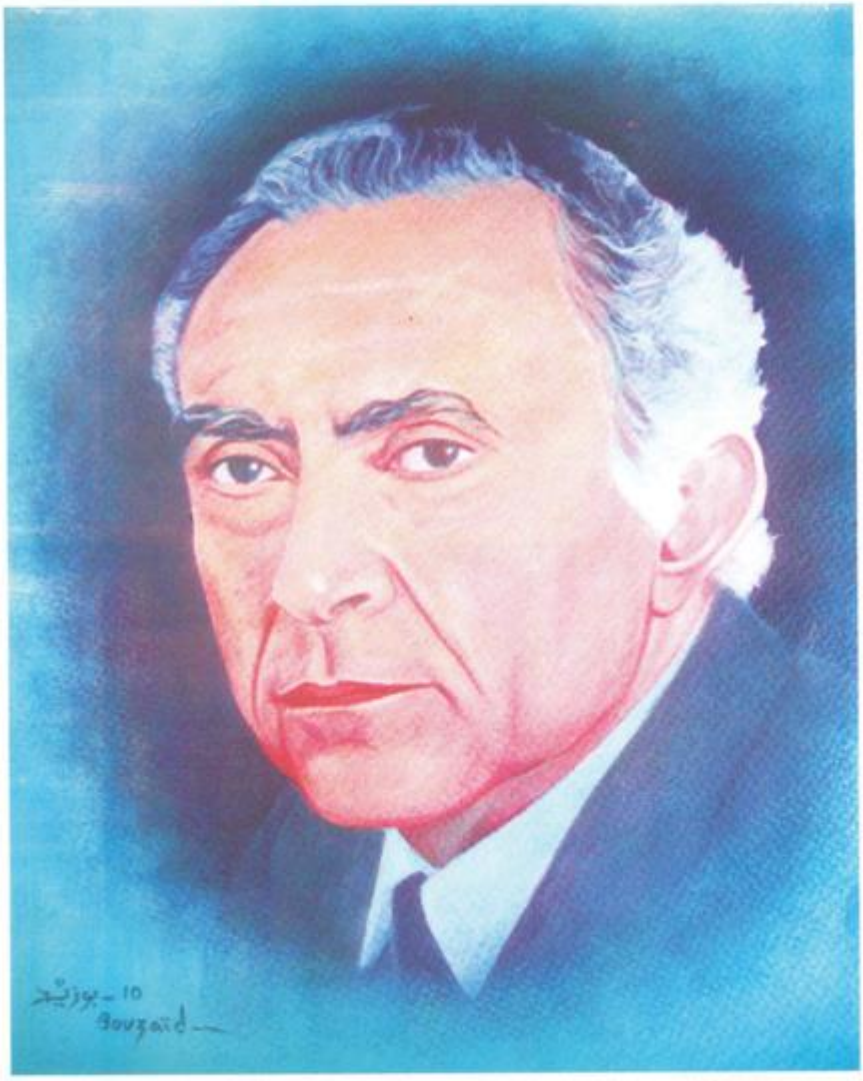

سعاد أنقار

من مواليد مدينة تطوان ٢٨ ديسمبر ١٩٤٤

دخل المعهد الموسيقي سنة ١٩٥٦ وهو ابن الثانية عشرة، كان المعهد الموسيقي مقسما إلى قسمين: عربي وشمل تعليم الموسيقى الأندلسية ، وإسباني لتعلم الموسيقى الكسيكية والذي كان يترأسه الأستاذ الإسباني خوصي ماريا غريدو والذي كان عازفا ماهرا على آلة البيانو.

وقد زار المعهد في تلك الفترة أشهر العازفين في إسبانيا وقدموا عروضا عديدة منهم :

روصا صاباطير عازفة البيانو

وأبيل موس عازف الكمان

وفي ظل هذا الجو المفعم بالأنشطة والحفلات الموسيقية درس عل أيدي هؤلاء الأساتذة الإسبان الصولفيج ، ،تاريخ الموسيقا،علم الجمال،الكونترابوان، والتأليف الموسيقي ، البيانو ، الفيولونصيل والهارمونية ، والفوغا.

١٩٦١ حصل على دبلوم الكفاءة في الصولفيج بإشراف الأستاذ أنطونيو دي ريفاس.

١٩٦٢حصل عل شهادة في علم الجمال وتاريخ الموسيقى بإشراف الأستاذ فرانتيسكو خمينيث.

١٩٦٧ دبلوم الكفاءة في الهارمونية فقد كان بإشراف الأستاذ الأب إميليو صوطو. ١٩٧٢ دبلوم الكفاءة في التأليف الموسيقي (الكونترابوان والفوغة والتوزيع للأوركسترا) بإشراف الأستاذ صوطو.

دبلوم العزف على آلة البيانو بإشراف رفائيل بريطو صولير .

تأثر مصطفى عائشة ببتهوفن ، شوبرت،ماهلر،بروكنر،وسترافنسكي وسوستاكوفيتش،وشونبرغ .

كما تأثر أيضا بالمحيط الذي عاش فيه فقد وصلت الموسيقا الشرقية العربية عبر دور السينما والراديو إلى مسامعه وأعجب بها والموسيقا الأندلسية ، كما كانت لموسيقا جبالة حنين وشجن والتي كانت تذكره دائما بوالدته حتى أنه إختار إسم الشهرة مصطفى عائشة ليلزمه طوال حياته، وقد ميزت هذه التأثيرات الفنية والثقافية مشواره الفني وطبعتها بنوع من التفرد والخصوصية.

وقد دفع به طموحه العلمي إلى التفكير في إتمام دراسته العليا بالحصول عل الدكتوراه وبدأ

سنة ١٩٧٤ في وضع موسيقا لقصيدة ❖أبناء الأرض❖ لتينوخوف للأوركسترا السمفوني والكورس التي كانت مشروع أطروحته للدكتوراه التي أرسلها إلى كونسرفاتوار موسكو ،لكن فكرة الدكتوراه أجهضت تماما بعد عدم توصله بأي رد من السفارة الروسية.

وقد تم عزف مؤلفاته في مختلف بقاع العالم :

١٩٨٨عزف له كونشيرتو للقيثارة وأوركسترا الحجرة وآلات الإيقاع من قبل أوركسترا

Ad ARTMDبباريس

وفي نفس السنة عزفت مقطوعته(لحظات حب عل ضفاف نهر الدارو) لآلة القيثارة باليونان.

❖وصوناتة أندلسية❖مصنف ٣١٠ لقيثارتين من قبل الأخوين إيميليو وميغيل أنخيل رودريغيث في إطار الملتقى الثالث للقيثارة

وفي ١١ ديسمبر ١٩٨٩ في مرسيليا تم عزف مؤلفه ❖نوبة صغيرة للكمان والقيثارة ❖من قبل العازفين التطوانيين محمد المرابط (القيثارة)، ومحمد لحمام (الكمان)بالمعهد الوطني لمرسيليا وتم ذلك في إطار ملتقى المعاهد الموسيقية للبحر الأبيض المتوسط.

١٨ ديسمبر ١٩٩٠ تم عزف بإشبيليا مقطوعته الثلاثية مصنف ٤٠٦ في نفس المناسبة ،

كما تم عزف مقطوعته(سويت جبلية) للبيانو مصنف ٤٠١ في ألمانيا من قبل العازف

❖فرانز بيتر كوبلز❖.

١٩٩٦ أعد شريط ❖الأندلس-ذكريات❖مع عازف القيثار احمد حبصاين.

١٩٩٩ شارك في الملتقى العالمي السادس للتأليف الموسيقي العالمي ، وعزفت مقطوعته سيريناد

للوتريات من قبل فرقة (إينيكما) أوركسترا الحجرة للأوديتوريو سرقسطة بإشراف خوان خوصي أوليفيس الذي نظمته المؤلفة طريسا كاطلان الأستاذة بالمعهد العالي بسرقسطة.

ونال مؤلفنا شهادة المشاركة في هذا الملتقى مع كل من المؤلف والموزيكولوجي الأمريكي صامويل أدلير والمؤلف الموسيقي الألماني مانفريد طروخان والمؤلف الأرجنتيني كارميلو سايطا.

٢٠٠٠ ورد إسمه في كتاب إسباني يضم أبرز المؤلفين الذين عزفت أعمالهم منذ سنة ١٩٨٥إلى غاية ١٩٩٩

ولعله العربي الوحيد الذي ورد إسمه في هذا الكتاب بوصفه ممارسا للموسيقا الكلاسية .

٢٠٠٤ – ذكرت أهم أعماله للمرة الثانية ضمن نفس المشروع وهي:

-Amores de los jardines del AL-Andalus III.Op 303(1-itermezzo,2-colquio1,3-coloquio II)

Balada dramática:-BARBARA

-Intermezzo,Amores en los jardines del AL-Andalus

-Minuetto n2. Op305 Amores e los jardines de Al –Andalus

-Nauba,op 292

-Sonata andalusí,op310.(-ALLegro no troppo,

2-Lento e maestoso,3-Moderato,4-Allegro giocoso).

-Sueno y Serenata

-Tres Kaleidoscopios(1-Moderato,2-Lento con mo lto espressione,3-Allegro comodo)

-Triplique,op406.homenaje a P. BarBizet.

-Variacioes 5,op305.Amores e los jardies de AL-Adalus

٢٠٠٢عزف السوري أشرف كاتب مقطوعة ٣(كاليدوسكوب) في مجموعة من العروض بمصر ،تركيا ،سوريا ، ألمانيا ،فرنسا لبنان، كما عزفه مع عازفون عالميون آخرون:

مثل دانيا الطباع وشوكو أبيه وألوكبيك بلفانوف ، وضمها في قرص مدمج كان قد أعده من أجل مشروعه "الموسيقا العربية والعالم" ولأنه كان يحمل تصور الإنفتاح على أعمال الموسيقيين العرب الذين يؤلفون في المجال الكلاسي فقد تضمن أسماء مؤلفين معاصرين من بلدان مختلفة ومنهم : بورغوس جيلاليان من لبنان ، ووليد الحجار وزيد جابري، وضياء السكري من سوريا وجمال عبد الرحيم وعزيز الشوان من مصر ، ومصطفى عائشة من المغرب.

كما عزف أشرف كاتب مقطوعة "أليغرو" للبيانو والكمان مصنف ٣٧٠ومقطوعة ثلاث أندلسيات في كل من تورينو وألمانيا وبرلين ويعمل حاليا على إعداد قرص مدمج يضم عددا من مؤلفات مصطفى عائشة الرحماني تكريما لروحه وإبداعاته.

توفي رحمه الله يوم الأحد ٣فبراير ٢٠٠٨ بمدينة تطوان.

لم يكن راضيا أبدا عن الوضع الموسيقي السائد وعن الحالة الفنية التي عاشها ففي أخر رسالاته كتب:"إن العالم مقيد موسيقيا بطوفان من الضجيج المزعج الذي يصم الآذان ، ومن الإيقاعات الطرقية، وبموسيقى الآلات المعدنية الصاخبة .إنه تلوث صوتي يمزق حاسة السمع،ويحرق الأعصاب، ويسبب الغثيان وألم الرأس"

لقد أراد مصطفى عائشة أن يكون متفردا ومتميزا في أعماله، فرغم أنه اتبع طريق الموسيقى الكلاسية العالمية في تآليفه فتأثر ببتهوفن ، شوبان ،شومبيرغ، وغيرهم وألف في قوالب الكنطاطا والسيريناد والسوناطة والليد وكتب ألحانه للترومبيت والفيولونصيل والهارب والقيثارة لكننا لا نلبث أن نلمس من خلالها صورا ذات سمات مغربية أصيلة كما في مقطوعاته◆ ثلاث رقصات كناوية◆لآلة البيانو ومقطوعة ◆أغاني شعبية تطوانية ◆للبيانو أيضا و مقطوعة◆ سويت جبلية◆للقيثارة ومقطوعة ◆غراميات في حدائق الأندلس◆ للبيانو والساكسفون سي بيمول ،التي تعكس بوضوح ملامحه الموسيقية الأندلسية وتشبثه بقوميته ومغربيته وبمدينته تطوان.

وسوف أقدم لكم نماذج من مؤلفاته سنستمع إليها الان:

Mustafa Aïcha
Profesor en el Conservatorio de Música de Tetuán
MOMENTOS DE AMOR A LAS ORILLAS
DEL DARRO
9 Variaciones y Fuga sobre un Tema Arábigo-andaluz
para Guitarra op. 260

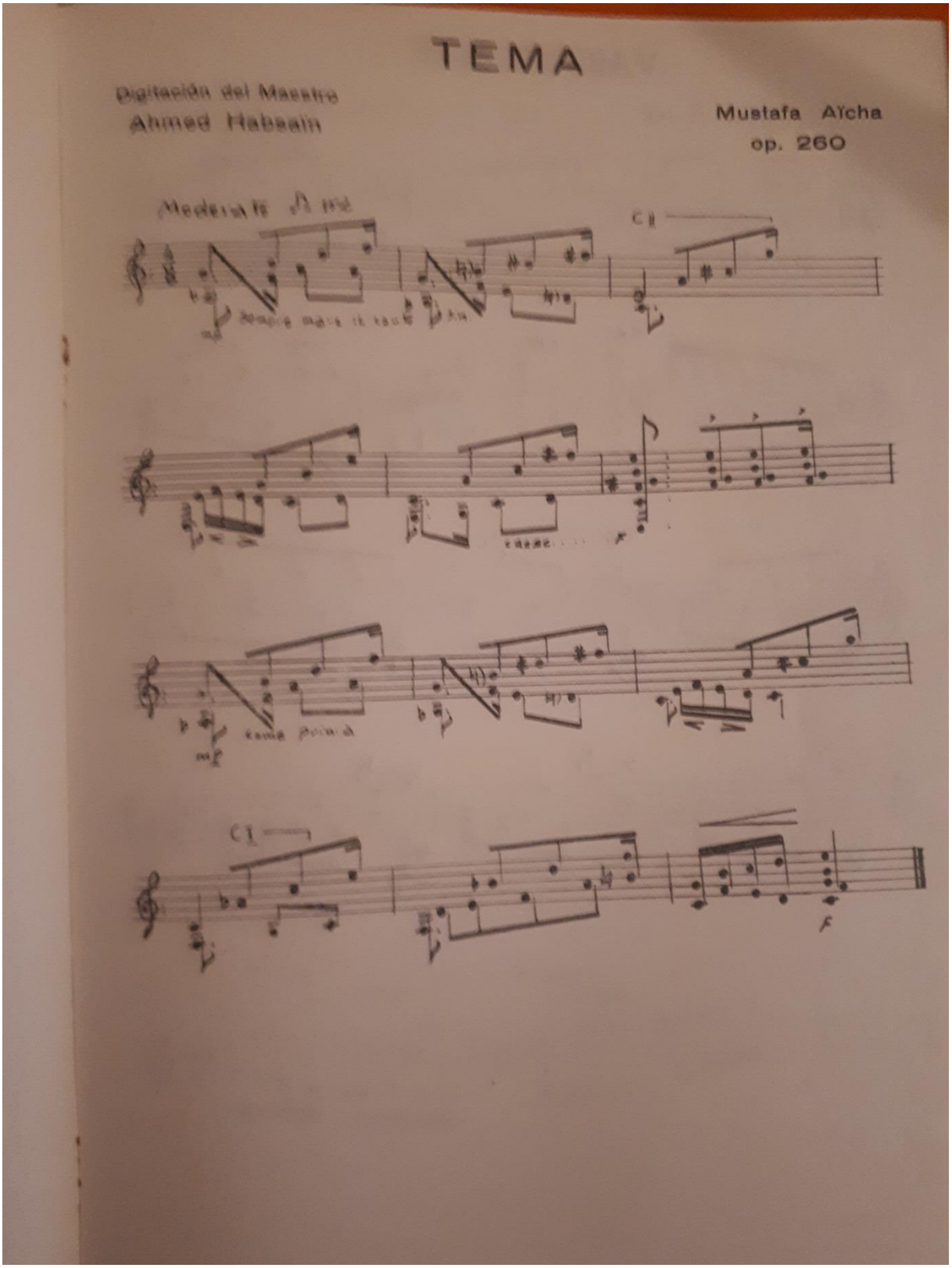

خاتمة:

لقد أحاطت بفن التأليف الموسيقي سحابة من القتامة فهو ليس فنا ترفيهيا سهل التقبل و غنائيا يطرب كما تعودت الجماهير التي تنهال عليها الأغاني العاطفية من كل المنافذ ليل نهار ، بل هو فن يتطلب تذوقه ثقافة وفكر شأنه شأن

كل الفنون الرفيعة ، لذلك فهو مازال يعيش في شبه عزلة عن الجماهير العريضة ،اللهم إ في إبداعاته من الموسيقا التصويرية للسينما أو المسرح والتلفزيون مؤخرا.

وهذا ما عاناه مؤلفنا مصطفى عائشة من صعوبات في إخراج أعماله إلى الوجود ذلك أن المبدع في عالمنا العربي بمجرد ماتنتهي معاناته مع التأليف حتى تبدأ مع الأمور التي تتعلق بالتسجيل والنشر والإعلام ،وفي الواقع أمام هذا الكم من الأعمال الذي كان حصيلة سنين عديدة من الإخلاص والتفاني كان يجب أن يحتفى بهذا الرجل وأن تقدم أعماله في المحافل الموسيقية والمعاهد الفنية ، وأن يثار الحديث والجدل حولها حتى يتم التعرف على هذا المجهود الكبير الذي قام به في حقل التأليف الموسيقي.

رحمه الله كان مبدعا ثائرا عل القوالب الجاهزة ، جريئا في صياغة أفكاره الموسيقية وإن لم يتقبلها جمهوره في حياته ولم يعطيها حقها الكلي من العناية والإهتمام والإعلام .

المصادر والمراجع:

كتاب العائش في النغم الموسيقار مصطفى عائشة

للباحثة سعاد أنقار الطبعة الأولى٢٠١٠

مطبعة الخليج العربي

حصاد القرن المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين الجزء الثاني

مؤسسة عبد الحميد شومان عمان الأردن المؤسسة العربية الطبعة الإلكترونية